

## رسالة في الكتابة المنسوبة

للكنور خليل محمود عساكر

هذه رسالة صغيرة كنت نقلتها عن نسخة خطية محفوظة تحت رقم ٧ بمكتبه برلين أثناء مقامي بهذه المدينة في أوائل الحرب الماضية . وقد أعجبت بالرسالة على صغرها كل الاعجاب ، اذ هي تعالج مسألة الكتابة المنسوبة أو الخط المنسوب من زاوية فنية على نحو قلما وجدت له نظيرا فيما قرأت من كتب في موضوع الخط حتى الآن .

والرسالة غير منسوبة الى مؤلف ، والناسخ الذي نسخها لم يذكره واكتفى بالدعاء انه بعد ان كتب العنوان حيث قال : « رحم الله تعالى مؤلفها » .

وكما لم يذكر للرسالة مؤلف ، لم يذكر لها كذلك اسم ناسخ ولا تاريخ نسخ ، وان كان يتضح من خطها أنها نسخت في زمن متأخر يرجح أنه أوائل القرن العاشر الهجري .

ويبدو بوضوح لمن ينظر في هذه الرسالة أن مؤلفها المجهول كان أستاذا من أساتذة الكتابة ، يسأل عن مشكلها ، ويستفتي فيما دق على الناس بل على الخاصة فهمه ، فيجيب اجابة عالم حجة ثبت .

أما عن العصر الذي عاش فيه المؤلف فقد يمكن القول بأنه عاصر أبا الحسن على بن هلال المعروف بابن البواب . ويدلنا على ذلك أن المؤلف يذكر في رسالته طائفة من أئمة الخط كابني مقلة وابن البواب وأستاذه ابن أسد . وأحدث هؤلاء عهدا هو ابن البواب الذي توفي عام ٤١٣ هـ أو ٤١٤ هـ .

ففى أول الرسالة نقرأ سؤال السائل : ولم قصر المتقدمون عن الأستاذ ابن البواب وسلم له المتأخرون من الكتاب ؟ وفى الإجابة عن هذا السؤال نجد المؤلف يقول : وأما الشيخ ابن البواب فوجد الناس قد اجتهدوا قبله فى اصلاح الكوفى وأقبلوا على ترضيب الكتابه للسر الخفى .. وكانت أسباب اتقان هذه الصناعة قد كملها الله له بأسرها ، وأراده لهذه الرتبة فشد لها أسره وأطلعه على سرها فرأى ابنى مقله قد أتقنا قلمى التوقيعات والنسخ ، لكن لم يرسخا — رحمهما الله — فى اتقانها ذلك الرسخ ، فكمل معناهما وتممه . ووجد شيخه ابن أسد يكتب الشعر بنسخ قريب من المحقق فأحكمه ..

انه ليبدو من هذا النص أن ابن البواب كان موضع حفاوة واعجاب من رجال هذه الصناعة وأن الناس قد عرفوا له قدره وفضله وأقروا له بذلك فى عصره . وفى قول مؤلف الرسالة عن ابنى مقله : « لكن لم يرسخا — رحمهما الله — فى اتقانها ذلك الرسخ » اشارة ضمنية الى أن ابن البواب لم يكن قد توفى حين كتب المؤلف رسالته .

وإذا صحت معاصرة مؤلف الرسالة لابن البواب — وصحتها أمر محتمل كل الاحتمال — وإذا كان أبو حيان التوحيدي قد عاش حتى شهد ميلاد القرن الخامس الهجرى . هل لنا أن نتقدم بفرض قد تكشف الأيام عن صحته . وهو أن المؤلف ربما كان أبا حيان التوحيدي نفسه ؟ ان بين أسلوب صاحبتنا وأسلوب أبى حيان شبيها ظاهرا (١) .

وهاكم الرسالة :

(١) عن الخط المنسوب نفسه يستحسن الرجوع الى معجم الأدباء

## رسالة في الكتابة المنسوبة

رسم الله تعالى مؤلفها

بسم الله الرحمن الرحيم

سأنتنى - أيدك الله - عن الكتابة المنسوبة ، أسميت منسوبة  
لتنسبها ، أم ( لأنها ) نسبت الى واضعها ؟

وما سبب اعجاب الناس كافة بها ، وميلهم اليها ، خصوصا أهل  
الذكاء من ساداتهم ، والألباء من صدورهم وقادتهم ، حتى من كان  
منهم أميا ؟

ولم تختص هذا بالكتاب العربى . حتى أعجبت صورته وأبيه  
ولو كان أعجميا ؟

ولم قصر المتقدمون عن الأستاذ ابن الجواب . وسلم له المتأخرون  
من الكتاب ؟

وسألت عن معنى قول القائل : خير الخط ما قرئ والباقي نقش !  
فقد فهمت سؤالك . وهأنذا مجيبك بما لا تأبأ العقول السليمة ،  
ولا تنكره الأذهان المستقيمة ، مختصرا لك من اللفظ ، ومستظهرا لك (١)  
على ظهور المعانى بأبلغ اللفظ .

فاعلم أن الكاتب اذا بلغ فى تعلم هذه الصناعة غاية قدرته ، وقفت  
يده عند حد عرف من ذلك الحد خطه ، من معان تخصصه عند أهل التمييز ،  
وذوى النقد والتحريز (٢) ، كما تعرف وجوه الناس وان تشابهت

(١) فى الأصل : ومستظهرا لك من اللفظ .

(٢) التحريز : المبالغة فى الحفظ .

أعضاؤها ، وتشاكلت أجزاؤها ، بمعان تخص كل وجه منها ، تعرفها  
القلوب ، وتشهدها العيون . وقد تقصر عن هذه الفواصل العبارة ،  
وتعجز عن تبينها الإشارة .

والكتاب ، وإن نهلوا من شرعة واحدة ، وسلكوا في (١) سبيل قاصدة  
فلا بد لكل منهم أن تميل به نفسه ، ويسرقه ضبعه . إلى معان تخص  
خطه ، وتميزه عن غيره ممن يكتب على طريقته ، ولو اجتهد في محاكاة  
خطه . هذا إذا صدق النقد والتمييز ، وخلص الكاتب من التكلف  
والتبديل ، لأن أمزجة الناس لم تتماثل (٢) بالتطبيق ، ولم تتعادل  
بالتحقيق . فالخط ينسب إلى كاتبه المجيد . وأما من لم يبلغ بالتجويد  
حدا فخطه ينقص ويزيد . وعلى هذا القيا عند مالك . فما كتب به من  
يعرف خطه حكم عليه بذلك .

وأما سبب اعجاب الناس بها ، فاعلم أن الأصل في الخط هو أن  
يحفظ صورة الكلام ، فينقله الخلف عن السلف ، ويفهم منه الغائب ما يفهمه  
الشاهد ، فينسخ به العلم ، وتدون به الحكم ، وتبلغ به الرسائل .  
وتقرر به العهود ، ويحرر به الحساب . ويترجم به عن الضمير . فيتم به  
تدبير الملك ، وتحفظ به الكتب المنزلة على الرسل . فهذه هي الحاجة  
الأولى كانت للكتاب (٣) . والمقصد المتقدم منه .

فلما تم لنا هذا المراد منه ، لم تقنع النفس من صورة حروفه ،  
وأوضاع كلمة . بدون صحة نسبه الوضعية ، كما تناسبت أعضاء  
الحيوان ، وتوازنت أجزاء النبات . لأن النفس عاشقة في الجمال ،  
مجبولة على حب الحسن ، وهو التناسب الطبيعي مرئيا كان أو مسموعا .

(١) يقال : سلك المكان وسلك فيه ( التدموس ) .

(٢) في الأصل : تتائل .

(٣) في الأصل : « للكتاب » بتشديد التاء . والكتاب والكتابة

بمعنى .

ألا ترى أنها لم تقنع من الكلام بفهم معناه دون أن رغبت الى مسجوعه  
وطربت الى موزون مسموعه ، فشرفت الخطب ، وعلت قمة الشعر ،  
وعلت قيمة البديع ، ثم لم ترض من الصوت بمفهومه ، حتى طلبت تناسبه  
فحررت الألحان ، وعدلت الأصوات بالأوزان ، وحفظت الضروب بأدوار  
الأزمان ، فسمى ذلك بالموسيقار ، فخطوط (١) فيه بالأديان ، ودان له  
ذو الأخطار ؟

فحسن الكتابة جمال مطلوب للنفس ، وصحة نسبتها صورة  
معشوقة للقلب ، وهو أمر معنوي زائد على مفهوم الخط . فخير الكتاب  
— من جهة طلب ادراك معنى لفظه — ما قرىء ، فلم تشتهه حروفه ،  
ولم تشكل كلماته ، لكن خيره — من جهة نزهة الطرف ، واطراب  
النفس . وتمريح القلب ، وتفريج الهم ، وشحذ مدية الذهن ، وصقل  
مرآة الفكر — هو ما ناسب كل حرف مجاوره ، وما بعد مجاوره ،  
وما قبله في كلمته ، واعتدلت مقاديره ، وأبهجت رضوبته ، واستنارت  
حواشيه وأطرافه . وبهر العيون صفاؤه وقوته ، ونطق بالاعجاز تفصيله  
وجملته ، فثنى اليه أعنة الحدق ، وأهدى الى النفوس رؤيته مبهج  
الفرج ، وأصدر عن الصدور بتأمله وارد الحزن .

فهذا معنى قول القائل الذي هجن النطق ، وما بعد عن الصدق ،  
لأن هذا وان كان من جنس النقش ، فانه كنقش الطبيعة ، وتعديل  
حسن الخليقة ، اذ صدر عن قوة العقل ، وصحة الأفكار ، ولم يحرد  
على تخييل ، ولم يخط مستقيمه بمسطرة ، ولا مستديره ببيكار . فلذلك  
لا يوجد في كل عصر الا الكاتب بعد الكاتب ، وذلك لاعجاز هذه  
الصناعة بدقة المذاهب .

فالخط المنسوب كالجوهر محبوب الشيمة ، محفوظ القيمة ، معدود  
من الأعلاق النفسية ، والذخائر الكريمة .

(١) فى الأصل : فحوطر .

وأما كونه يعجب القارئ والأمة ، ويزدهى العربى والأعجمى (١) ،  
فلما ذكرت من أن اعجابه لا يتوقف على أن يقرأ ، لكنه معنى تدركه  
النفس بالنظر فيدرى .

وأما الشيخ ابن البواب فوجد الناس قد اجتهدوا قبله فى اصلاح  
الكوفى ، وأقبلوا على ترطيب الكتابة للسر الخفى : وهو حب النفس  
للرطوبة ، لأنها مادة الحياة ، وهى لدونة الخط وزينه (٢) ، وألا يرى من  
خارج زواياه . وكانت أسباب اتقان هذه الصناعة قد كملها الله له بأسرها ،  
وأراد له هذه الرتبة فشد لها أسره وأطلع على سرها ، فرأى ابنى مقلدة  
قد أتقنا قلمى التوقيعات والنسخ ، لكن لم يرسخا — رحمهما الله — فى  
اتقانها ذلك الرسخ . فكمل معناهما وتممه . ووجد شيخه ابن أسد (١)  
يكتب الشعر بنسخ قريب من المحقق فأحكمه ، وحرر قلم الذهب وأتقنه  
ووشى برد الحواشى وزينه . ثم برع فى الثلث وخفيفه ، وأبدع فى الرقاع  
والريحان وتلطيفه ، وميز قلم المتن والمصاحف ، وكتب بالكوفى فأنسى  
القرن السالف .

وأما ما رأيت من مؤوجه (٢) وتسييعه . وتلعبه بغير ما ذكرت وتنويعه  
فغاية لم يدركه أحد بعده . ومن جد فى نقل جيد خطه عرف حده .

(١) يؤيد القول باعجاب الأعجمى بالخط المنسوب ما ذكره  
أبو حيان النوحيدى فى رسالته فى علم الكتابة وهو قوله : « سمعت  
ابن المشرف البغدادى يقول : رأيت خط أحمد بن أبى خالد كاتب المأمون ،  
وكان ملك الروم يخرج فى يوم عيده فى جملة زينته ويعرضه على العيون » .  
(٢) كذا فى الأصل ، ولعلها « وريه » .

(١) هو محمد بن أسد ، أحد اثنين أخذ عنهما ابن البواب ، أما  
الآخر فهو : محمد بن السمانى ( صبح الأعشى ج ٣ ص ٤٥ ) .

(٢) فى الأصل : « مؤوجه » . والمؤوج : المور والاضطراب . جاء  
فى القاموس مادة ( موج ) : ماجت الداغصة مؤوجا مارت بين الجلد  
والعظم . والداغصة : العظم المدور المتحرك فى رأس الركبة .

كشرك علي بن علي خا مبر الله تعالى اعازك ومنصليا  
علي يد من محمد وال البر وعشرتهم ومسا

سنة ٩٤١ هـ

نعم ، كان الكاتب بعده يجيد القلم والقلمين ، ومن قال انه بلغ غاية الكل فقد بلغ المين . فانه الواضع الذي حرر كلا وشبهه ، وعرف سره وكنهه . فغاية المتشبه أن يقارب ، الا أن يدعى مكابر محارب .

واما اختصاص هذه المزية بالكتاب العربي ، فلأنه أرطب خطوط الأمم وأوسعها ، وأكثرها صنوفا وأجمعها .

فهذه لمحة تدلك على ما سألت عنه من هذا الباب ، ويفنيك مختصرها عن الاكثار والاسهاب . وهذا أمر مشاهد ، لا يحتاج الى شاهد والسلام .

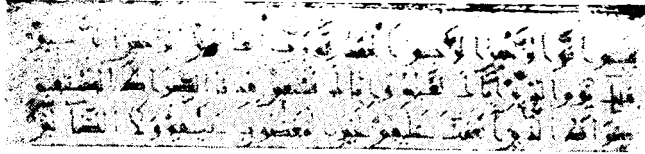
الحمد لله رب العالمين كثيرا . وصلى الله على سيدنا محمد وعترته الطاهرين وسلم تسليما ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .



جامعة الدول العربية

مجلة

معها المخطوط العربية



الجزء الأول

المجلد الأول

مايو ١٩٥٥

رمضان ١٣٧٤

جامعة الأزهر العربية

مجلة  
معها المخطوطات العربية

الجزء الأول

المجلد الأول

مايو ١٩٥٥

رمضان ١٣٧٥